

لولاك سوريا!

بقلم محب الحرية

"وقدمنا السلاح لهؤلاء، قدمنا الذخائر لهؤلاء في وقت من الأوقات، أخذنا الأسلحة من جنودنا من تشكيلاتنا وأعطيناها لهم. أرسلنا جنودنا منذ ثلاث سنوات للدفاع عن هذه المخيمات في بيروت و الجنوب وطرابلس، هؤلاء الجنود يعيشون في لبنان منذ ثلاث سنوات" (حافظ الأسد مدرج دمشق ٢٠ تموز ١٩٧٦)

منذ مطلع السبعينات وضع ديكتاتور سورية إستراتيجية العلاقة مع لبنان على مبدأ شعب واحد في بلدين. وعلى هذه القاعدة كانت سوريا طرفاً أساسياً في الحرب، لا لتدافع عن فئة أو تحارب جزء من فئة، بل من أجل تحقيق إستراتيجية بلدين وسياسة واحدة. ألم يفهم اللبنانيون بعد لماذا اخذ الأسد السلاح من جنوده وأعطاه لعرفات في لبنان؟

واليوم أمن أجل تحرير فلسطين يُعاد تحريك الأصوات الإرهابية من أبو العنين وأبو محجن وغيرهم من الأبوات عبر الطلب بفتح الحدود للفدائيين واستتساخ أجواء السبعينات؟ وماذا نفهم من توزيع مناشير في شوارع بيروت تقول: "اليهود وبكركي أعداء الإسلام" مع كل مظاهرة تخرج من المخيمات الفلسطينية لدعم الانتفاضة؟

هل بسلاح سوريا وزرع الفتن يتم تحرير فلسطين؟ أم بمال السعودية؟ أو يا ترى بدعم مصر الذي يببوا أن سمع رئيسها كغيره من الحكام العرب قد خف مؤخراً فلم يفهم لغة باراك عندما هدد بقصف البنية التحتية في لبنان من مصر. لقد تردد مبارك منذ أيام بالإجابة ليعود ويؤكد عدم قدرة الدولة اللبنانية الحافظ على التوازن بين مختلف شرائح المجتمع إلا بوجود الجيش السوري، في حين لم ينبري مسؤول لبناني واحد من متولي الحكم ليرد عليه.

إذا تحررت فلسطين في يوم من الأيام فإن ذلك لن يكون بفضل هؤلاء الحكام أو الذين يدعون المقاومة، بل بفضل دماء ذلك الصبي الذي رأيناه على شاشة التلفزيون يُقتل برصاص الإسرائيليين ببرودة أعصاب وهو في حضن أبيه. إن فظاعة الجريمة هذه لم تحرك الضمير العالمي الذي ما زال يغط الطرف عما يجري مستسلماً لمنطق القوة. إنه المنطق عينه الذي يجيز تجويع أطفال العراق ويسمح لسوريا وضع يدها على لبنان ترضية لها على مشاركتها المشبوهة في حرب الخليج.

إن المجازر البشعة في بسوس وظهر الوحش سنة ١٩٩٠ وإعدام جنود لبنانيين من اللواء العاشر معطوفة على مجزرتي تل تمرز ودير قلعة كلها جرائم ارتكبت على أيدي الجيش السوري الذي يفاخر فخامة العماد بوجوده حول بعبداء واليرزة.

نسأل هل أتى الجيش السوري إلى الجبل من أجل المساعدة أم النهب؟ عندما دخل الجيش السوري إلى لبنان سيطر على كافة الطرق الرئيسية وعلى معظم الموانئ ومنها ميناء طرابلس. لقد امتص خيرات سهل البقاع وحول التهريب إلى منشأة قائمة بذاتها وتورط فيها بشكل لافت. علماً أن إرسال العسكريين إلى لبنان يعني بالمفهوم السوري فرصة لا تعوض لجمع الثروات. لقد حكم التفكير المنحرف هذا تصرفات وممارسات كافة جنرالات جيش الشقيقة وضباطه. ترى هل هذا هو الدور الذي يدافع عنه فخامة العماد، وهل هذه هي المبادرة التي قال إن اللبنانيين لم يفهموها؟

إن لبنان اليوم بفضل تبعية فخامة العماد ومن لف لفه هو قالب "كاتو" يتقاسمه حكام دمشق فيما اللبناني مقهور ومحروم حتى من لقمة عيش كريمة.

فما العجب إذاً في غيرة وحمية وزير الإعلام السوري عدنان عمران وغيره من حكام دمشق الذين انبروا يدافعون بشكل مقزز عما يعتبره غنيمة حرب؟ يقول عمران "لولا سوريا لما بقي مارونيا واحداً". نسأله إذا كان يعلم أنه لولا الرهبان الموارنة لما كان هو ولا غيره من الحكام الدخلاء على العروبة يتكلمون العربية اليوم.

كم من الخطايا ارتكب الحكم السوري بحق لبنان وشعبه؟ فلولا أفضال هذا الحكم لما كان ذلك الماضي المؤلم ولا كان هذا الحاضر الفاسد. ولولاه لما كفر الناس بالمستقبل إن كان كماضيهم وحاضرهم.

لبنان لن ينسى المجازر التي ارتكبتها الجيش السوري الغازي في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٩٠، كما لن ينسى تضحيات شهادئة البررة الذين سقوا تراب الوطن بدمائهم الطاهرة لنعيش نحن أهل لبنان مرفوعي الرأس.

نعاهدكم يا شهدائنا أن نبقي المشعل الذي أضأتموه بشهادتكم وهاجاً حتى يتم تحرير الوطن بالكامل وخروج كل القوى الغريبة منه وعودة أحرار إليه.

لقد صدق قول الشاعر: سوريا شقيقة أنت، لا بل أنت عاهرة، شقية فرقت، والستر توحيد.

بيروت في ١٣/١٠/١٩٩٠